الخطاب السياحي وتجلياته في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا

Touristic discourse and its manifestations in "Iliad of Algeria" by Moufdi Zakaria

شبال سميرة*

تاريخ الإرسال: 2024/12/30	تاريخ القبول: 2026/05/15	تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن مدى إسهام مفدي زكريا في الترويج للسياحة في الجزائر.

ومن أهم التساؤلات المتبادرة إلى ذهني: كيف يسهم الخطاب السياحي في الترويج للفعل السياحي؟ ثم كيف قدم مفدي زكريا الجزائر في إلياذته؟ وإلى أي مدى تمكن من ذلك فنيا وجماليا؟

وللإجابة على هذه التساؤلات انتهجت المنهج التحليلي الوصفي ومن أهم النتائج المرجو التوصل إليها:

تقديم مفدي زكريا صورة شاملة للجزائر سواء على المستوى الطبيعي أو الاجتماعي أو التاريخي، توظيف مفدي زكريا للأساليب البيانية بصورة رائعة تبرز فيها جمال الجزائر وسحرها إضافة إلى اللغة الجزلة والمعبرة والخالية من أي تهجين أو تشويه.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياحي، اللغة العربية، مفدي زكريا، إلياذة الجزائر

Abstract:

This research aims to uncover the extent to which Moufdi Zakaria, contribute to promoting tourism in Algeria. Several questions arise: How does touristic discourse contribute to promoting tourism activities? How did Moufdi Zakaria portray Algeria in his Iliad and to what extent did he

* المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة (الجزائر)، chebel.samira@ensb.dz

succeed artistically and aesthetically? The study adopts an analytical and descriptive methodology.

Some of the key expected results include: Moufdi Zakaria presenting an image of Algeria, encompassing its natural, social, and historical aspects,he employing vivid descriptive techniques to highlight the beauty and charm of Algeria, using eloquent language free from any hybridization or distortion.

***Key words**: Touristic discourse; Arabic language; Moufdi Zakaria; Iliad of Algeria.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: شبال سميرة، chebel.samira@ensb.dz

1. مقدمة:

تعد السياحة منذ الأزمنة القديمة وسيلة من وسائل التواصل بين الأمم والثقافات المختلفة والتعرف وتقوية أواصر الصداقة والعلاقة بينها، وفي عصرنا هذا باتت السياحة موردا اقتصاديا مهما يسهم في جلب أموال طائلة لذا باتت البلدان الفقيرة من حيث الموارد الطبيعية والمحروقات تعمل كل ما في وسعها للاستثمار في مجال السياحة فهي لا تفتأ تبذل مبالغ مالية خيالية لبناء الفنادق الفخمة وتشييد المنتجعات السياحية الراقية لأنها تدرك مدى الأرباح التي ستجنيها من خلالها ومدى إسهامها في الرفع من مستوى اقتصادها، فكم من بلد في العالم بنى اقتصاده على المداخيل السياحية سواء في العالم العربي أو الغربي، ولم يعد السائح ذلك الشخص الذي يقصد وجهة معينة ليمضي عدة ليال في فندق ذي خمس نجوم ويزور أهم المعالم السياحية فيها بل أصبح أكثر فضولا ويبحث عن اكتشاف كل ما يخص تلك المنطقة ومن هنا جاء الاهتمام باللغة ليس لكونها الأداة الأساسية للتواصل ولكن هناك آليات أخرى ينبغي تعلمها سواء من قبل التجار وأصحاب الفنادق أو المرشدين السياحيين حتى يتقنوا عملية التسويق الناجحة للسياحة وكل ما له علاقة بها في أوطانهم ومن هنا جاء الاهتمام بالخطاب السياحي والعمل على تطويره، وفي هذا الإطار تسعى البلدان العربية ولا سيما المهتمة بقطاع السياحة إلى تطوير الخطاب السياحي العربي لتقدم من خلاله صورة جذابة للمنطقة العربية والعمل على نشر لغتها حتى تجد

مكانا لها ضمن اللغات العالمية المختلفة، وقد كرست كوكبة من الأدباء العرب أقلامها لهذا الغرض ومن بين هؤلاء نذكر شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا الذي خصص حيزا معتبرا في إلياذته لهذا الشأن.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى إسهام الأدباء الجزائريين وخاصة مفدي زكريا في الترويج للسياحة في الجزائر، ولتسليط الضوء على مختلف جوانب هذه الدراسة تبادرت إلى ذهني مجموعة من التساؤلات منها:

ماهي طبيعة العلاقة بين اللغة والسياحة؟ وكيف يسهم الخطاب السياحي في الترويج للفعل السياحي؟ وهل يوجد فعلا أدب سياحي في الثقافة العربية؟ ثم كيف قدم مفدي زكريا الجزائر في إلياذته؟ وإلى أي مدى تمكن من ذلك فنيا وجماليا؟

وللإجابة على هذه التساؤلات انتهجت المنهج التحليلي الوصفي الذي سيمكنني من التغلغل إلى عمق المسائل المطروحة في هذا البحث؟

2. مفهوم الخطاب السياحي:

قبل التطرق إلى توضيح مفهوم الخطاب السياحي بنا توضيح العلاقة الكائنة بين اللغة والسياحة.

1.2 اللغة والسياحة:

اللغة هي من أهم وسائل الإعلام والتعليم والتواصل في مختلف المجالات الحيوية والقطاعات الاقتصادية فهي "الشفرة الرمزية المهيمنة في العملية التواصلية"[1] وهي أيضا " الحامل الضروري الملازم لكل إنجاز تنموي "[2]مما دفع بالمشرفين والمسؤولين على النشاط السياحي في بلدانهم إلى الاهتمام باللغة السياحية والعمل على تطويرها.

هذا وتتميز اللغة السياحية بكونها لغة وظيفية، إضافة إلى مهمتها التبليغية والتواصلية فهي مطالبة خاصة بالإقناع إذ تعمل على اختيار الكلمات والأساليب التعبيرية المؤثرة في المتلقي والمستهلك حتى تحفزه على اختيار وجهة معينة لزيارتها وفنادق معينة للإقامة فيها وهنا أيضا تظهر براعة وأهمية الإشهار السياحي الذي يوظف الخطاب اللغوي وبعض المؤثرات الفنية وتقديم مطويات تحمل صورا جميلة وجذابة للمكان المزمع زيارته

مع بعض العبارات اللغوية الجميلة وذات وقع خاص في نفسية السائح حتى يقتنع بما يُعرض عليه.

واللغة السياحية نوعان: مكتوبة ومنطوقة، أما المكتوبة فهي تعتمد على "قاموس لغوي خاص به من أجل الإقناع بفحوى الرسالة وأهميتها لخدمة غرضه الخاص ولأجل خصوصياته وأهدافه وفق استراتيجية تسويقية دعائية خاصة بحيث تعتمد على تقنيات تواصلية خاصة وتعتمد وسائل ومرجعيات لغوية ونصية كلها تصب في محاولة إنشاء خطاب يستقطب السائح،"[3] وأما المنطوقة فهي تختار الأشخاص الذين لديهم جاذبية وكاريزما ويتقنون اللغة التي يتحدثون بها ولا سيما في الإشهار إضافة إلى استخدام بعض الحركات والتعابير خاصة على مستوى الوجه والصوت التي يكون لها مفعولا إيجابيا لدى السائح وذلك مهما كانت طبيعة هذه اللغة فصيحة أو عامية أو مزيج بينهما إذ الأهم أن تكون "خفيفة على اللسان وموقعة في الآذان،"[4] فتنشط مخيلته وتأخذه إلى عالم الأحلام العجيبة لأن الألفاظ الموظفة " لا تستمد معانيها من طبيعتها المادية باعتبارها سلسلة من الأصوات على سبيل المثال ولكنها تستمدها من الأغراض التي تؤديها في نقل المضمون غير المادي،"[5] زيادة على ذلك يُشترط توظيف لغة بسيطة وواضحة ومؤثرة تعتمد على السرد والوصف والحوار حتى تصل إلى السائحين بمستوياتهم المختلفة وتؤدي وظيفة التأثير عليهم.

2.2 مفهوم الخطاب السياحي:

يختلف الخطاب السياحي عن الأنواع الأخرى من الخطابات لأنه لا يتوجه إلى فئة خاصة من المجتمع بل لكل من يهتم بالسياحة ويعشق الترحال والبحث والاكتشاف والتعلم وهو من أهم " وسائل الاتصال الجماهيري التي تعتمد عليها السياحة –باعتبارها نشاطا اقتصاديا-من أجل ترويج المنتج السياحي والتعريف بالمنطقة السياحية عن طريق التأثير في وجدان وعواطف ومدركات السياح وتوجيه سلوكهم السياحي نحو التعاقد على برامج سياحية أو خدمات معينة من خلال ما يستثمره من أدوات لغوية إقناعية."[6]

هذا وغالبا ما يوظف الخطاب السياحي في الرسائل الاشهارية عن طريق التركيز على استعمال مختلف وسائل الاقناع التي تصل إلى قلب السائح وعقله وتدفعه إلى التوجه إلى

وجهة سياحية معينة دون سواها، كما يمكن للخطاب السياحي أن يحقق أهدافه من خلال الاشهار والسينما والتلفزيون ووسائل التواصل الاجتماعي والأدب بفنونه المختلفة.

يتميز الخطاب السياحي باستعماله للأساليب السهلة والبسيطة والألفاظ المألوفة ولكنها جذابة ومؤثرة في نفوس المتلقين إضافة إلى الأفعال المحفزة والتي يمكنها أن تحدث ردود أفعال سريعة، كما يلجأ أيضا إلى بعض أدوات الاستفهام والنداء يشعر السامع على أن الحديث موجه إليه بصورة مباشرة كما لا يتوانى في توظيف بعض الأساليب البيانية كالتشبيه والاستعارة أو الكناية ليجعل خيال المتلقي يسبح بعيدا عن الواقع.

ومن أبرز الأسس والقواعد التي يقوم عليها الخطاب السياحي هي "تلك الأبعاد الميثولوجية أي الأسطورية التي تتحكم في الثقافة والحضارة كبنيات أساسية في النسق الكلي لحضارة الأمة، فكليوباترا ورمسيس الثاني ونيفرتيتي [...] كلها شخصيات عادية إذا تمت مقارنتها بشخصيات قدمت اختراعات وابتكارات [...] لكن تلك الشخصيات الفرعونية تعدُّ نبراسا يهدي إلى الحضارة المصرية القديمة التي يحجُّ إليها السياح من كل حدب وصوب بهدف اكتشافها"[7].

زيادة على ذلك غالبا ما "يبنى الخطاب الموجه للمستهلك [السائح] بأساليب واستراتيجيات تجعله يلتصق بذاكرته ونضيف هنا العبارات التي يستعملها موظفو السياحة وعارضو المنتجات السياحية والخدمات في التواصل الحي مع السياح [...] وهكذا فإن كل خطاب إشهاري ناجح في تسويق اللغة التي بني عليها ومن ورائها الحمولة الثقافية والحضارية المستندة إليها."[8]

3. علاقة الأدب بالسياحة:

كان الأديب ولا يزال ابن بيئته ولسان حال مجتمعه لذا فهو يسعى إلى الكتابة عن مجتمعه وواقعه المعيش لقد نقلت لنا الآداب القديمة طبيعة الحياة السائدة حينذاك ، لقد اكتشفنا من خلال القصيدة الجاهلية كيف كانت القبائل العربية تعيش على الترحال مما أدى إلى ظهور المقدمة الطللية التي يبكي فيها الشاعر على تلك الأطلال التي يستذكر عبرها خلانه وأحبابه والأيام الجميلة التي جمعته بهم في تلك الربوع بالإضافة إلى العديد

من العادات والتقاليد الاجتماعية والطقوس العقائدية، فمن خلال الشعر تعرفنا على أسماء العديد من القبائل والأحياء ومواقعها الجغرافية وكذا الحال نفسه مع الأدب اليوناني ولا سيما ملحمة الإلياذة لهوميروس التي عرفتنا بمختلف الإمارات اليونانية ومختلف مدنها وأهم قاداتها وأمرائها، وفي العصر الحديث زاد اهتمام الأدباء ببلدانهم ومدنهم وأحيائهم، فإن تصفحنا روايات نجيب محفوظ مثلا لوجدناها تزخر بصور حية عن حارات مصر وأحيائها الشعبية ومقاهيها وأزقتها الضيقة وبيوتها العتيقة وبفضلها تعرفنا على خان الخليلي وعلى زقاق المدق وعلى قصر الشوق وبين القصرين والسكرية والقاهرة الجديدة وغيرها مما أسهم في جلب العديد من السائحين الفضوليين إلى زيارة مصر والذهاب إلى تلك الأحياء والدخول إلى تلك المقاهي والتجول في تلك الأسواق وعليه فإن علاقة الأدب بالسياحة علاقة وطيدة.

يرى جمال بدران أن الأدب السياحي هو "وصف لما يقع في نطاق حواس الإنسان من مرئيات وسمعيات بل الروائح والنسمات وما إلى ذلك من دقائق الحس ومشهيات التذوق[...] ويتميز بالتأنق في صوغ العبارات مستهدفا تجميل الموصوف وتحسينه لراغبي السفر أو الباحثين عن الاستمتاع ،"[9] فالأدب السياحي إذن هو الذي يعمل فيه صاحبه على تقديم صورة جميلة وجذابة لبلده ومختلف مدنها وأحيائها ومعالمها الأثرية والتاريخية وغالبا ما كان يضفي عليها من خياله الخصب وعاطفته الجياشة ليحرك من خلالها وجدان المتلقي وخياله ويولد في نفسه رغبة شديدة لزيارة تلك الأماكن الساحرة والمشي على ترابها ولمس جدرانها وأبوابها وأشجارها وشم رائحة أزهارها وورودها ...

علاوة على ذلك يسهم الأدب السياحي بإعادة الاعتبار للعديد من المناطق التاريخية أو الأثرية المنسية وتوعية المتلقي بأهميتها وقيمتها وضرورة الحفاظ عليها.

هذا ويختلف الأدب السياحي عن أدب الرحلة في كونه يعتمد أساسا على وصف المعالم السياحية والمناطق الجميلة ويدعو بشكل مباشر أو غير مباشر السائحين إلى زيارتها فهدفه الأساسي هو الترويج للسياحة أما أدب الرحلة فيلتقي بالأدب السياحي في وصفه للأماكن السياحية ولكنه يختلف عنه في كونه يركز أكثر على تجاربه الشخصية وما عاشه أثناء رحلته تلك.

4. الأدب السياحي في الثقافة الجزائرية:

يزخر الأدب الجزائري بنصوص أدبية سياحية، بفضل ارتباط الفنان والأديب الجزائري الشديد بوطنه واعتزازه بالانتماء إليه.

لقد صور محمد ديب في ثلاثية الجزائر مختلف الأحياء والأزقة والمنازل في مدينة تلمسان دون أن يهمل الريف وعالم الفلاحين وعمال الأرض عامة وكذا قام مولود فرعون في رواياته ابن الفقير والأرض والدم والدروب الوعرة في تقديم صورة دقيقة ومفصلة عن حال الأرياف والقرى وجمال الطبيعة في منطقة القبائل وكذا مولود معمري ومالك حداد إضافة إلى الطاهر وطار و رشيد ميموني وأحلام مستغانمي وغيرهم أما الشعراء فكان لهم حصتهم في ذلك وعلى رأسهم شاعر الثورة مفدي زكريا الذي تغنى ببطولات الشعب الجزائري وشجع المجاهدين على الإقبال بكل بسالة لتحرير كل شبر من الوطن الغالي كما خصص مطولته التي تضم حوالي ألف بيت وبيت للتغني بتاريخ الجزائر المجيد عبر العصور المختلفة وبجمالها الخلاب سواء في الشرق أو الغرب في الشمال أو في الجنوب.

1.4 تجليات الخطاب السياحي في إلياذة الجزائر:

لقد نظم مفدي زكريا هذه القصيدة المطولة والتي استلهم عنوانها من ملحمة هوميروس الإلياذة رغم أنها تختلف كثيرا عنها ولا سيما في بنائها الفني، لقد ألقاها بصوته المتميز وبروحه الحماسية بقاعة المؤتمرات لقصر الأمم بنادي الصنوبر عام 1972 بمناسبة احتفال الجزائر بعيد استقلالها العاشر وتنظيمها للملتقى السادس للفكر الإسلامي.

1.1.4. وصف جمال الجزائر الطبيعي:

لقد خصص مفدي زكريا حيزا معتبرا لتقديم الجزائر كتضاريس طبيعية وأماكن ونباتات وحيوانات ويتضح ذلك فيما يلي:

استهل الشاعر إلياذته بالأبيات التالية:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات

ويا بسمة الرب في أرضه ويا وجهه الضاحك القسمات

ويا لوحة في سجل الخلو د تموج بها الصور الحالمات[10]

لقد افتتح مفدي زكريا مطولته بالترحيب "بالكون وجمال الطبيعة الخلابة التي تتسم بها أرض الجزائر [...] فالجزائر رمز للوطن كله [...] بحيث يضعنا أمام صورة عامة عن الطبيعة التي تزخر بها هذه البلاد وهذا المطلع الذي سيقت فيه كلمة معجزة بمفهومها الديني هي تجاوز للقدرة البشرية،"[11] وهذا ما يزيد من تشويق المتلقي ورغبته في قراءة تفاصيل أخرى عن هذا البلد الرائع الذي هو آية من آيات الله العجيبة.

ويتابع وصفه لجمال الجزائر بحيث يشيد بروعة ترابها وبشموخ جبالها التي أخضعت لها العدو واسقطته عند قدميها،[12] ثم ينتقل إلى ذكر كل منطقة على حدة مع ذكر ما يميزها عن المناطق الأخرى، فذكر جبال الشريعة وهي أعلى قمم سلسلة الأطلس البليدي وجبال شفة وجبال إيعكورن وجبل الوحش وغيرهم،[13]كما ذكر الوديان والأنهار والبحار والحمامات المعدنية مثل حمام ملوان وحمام ريغة[14]ومنها عرج إلى الثروة النباتية والحيوانية التي تزخر بها الجزائر مثل غابة باينام بأشجارها الباسقة وضباعها وذئابها[15] ثم نسور مليانة وأشجار حب الملوك بوهران[16]ثم يفتخر بمنطقة وادي مزاب في الجنوب الجزائري وبالذات منطقة تيلغمت مسقط رأسه حيث تتجوّل الغزلان في فيافيها وكم كان يفتخر بجمال الصحراء الأخّاذ حتى نعته بمهبط الوحي للكائنات .[17]

ومن ثم استهل سفره عبر ولاية الجزائر العاصمة وذكر كل أحيائها منها: القبة وحيدرة والأبيار والسيدة الإفريقية وبلكور وساحة الشهداء[18] وغيرها ومنها ينتقل إلى المدن الساحلية أمثال بجاية ووهران وتلمسان ثم المدن الداخلية كالبليدة والمدية ومنها إلى الصحراء الكبرى كل هذا بأسلوب حماسي ومشوق.

2.1.4. الآثار التاريخية للجزائر:

لقد عاد مفدي زكريا بتاريخ الجزائر إلى البدايات الأولى إذ "أثبتت الحفريات والنقوش الصخرية والمعالم الجنائزية أن أرض الجزائر عرفت تواجدا بشريا مميزا لآلاف السنين قبل الميلاد[...] اكتشف العالم الأثري "أرامبورغ" هيكلا عظميا في ناحية معسكر

يعود إلى 450 ألف سنة قبل الميلاد، خلص في بحثه إلى أنّ الجزائر هي مهد العنصر البشري المتحضر."[19]

ومن أهم المعالم الأثرية التي ورد ذكرها في إلياذة الجزائر نذكر:

ا - القصبة:

وتعد من أهم المعالم التاريخية القديمة في الجزائر وقد أدرجتها منظمة اليونسكو ضمن التراث العالمي فهي تضم بقايا قلعة ومساجد قديمة وقصور عثمانية، يرجع البعض من الباحثين تاريخ تأسيسها إلى ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد أي في الفترة التي تشكلت فيها المماليك النوميدية،[20] إضافة إلى ذلك فهي تحمل آثار مختلف الحضارات التي مرت بالجزائر واحتلتها وفيها يقول أحد المؤرخين: "ومن شرشال إلى مدينة الجزائر بني مزغنا سبعون ميلا ومدينة الجزائر على ضفة البحر وهي عامرة آهلة وتجارتها مربحة، وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة. "[21]

ب - المدن العريقة:

من أهم المدن العريقة التي أسسها الفينيقيون في الجزائر نذكر:

- عنابة التي كانت تسمى ريجبوس.
- سكيكدة التي كانت تسمى ريسيكادا.
- قسنطينة وكان اسمها سيرتا.
- بجاية وكان اسمها صالدي.
- الجزائر العاصمة التي كانت إيكوزيوم.
- شرشال وكانت تسميتها إيول.[22]

وغيرها من المدن التي تزخر بمعالمها الرومانية والفينيقية والتي لا تزال قائمة إلى يومنا هذا وتجلب الكثير من السائحين سواء من داخل الجزائر أو من خارجها.

3.1.4. الأمجاد الوطنية:

من أهم الدوافع التي جعلت مفدي زكريا يكتب إلياذته هي التغني بأمجاد وبطولات الشعب الجزائري الذي تعرض لأنواع مختلفة من الاحتلال ومن قبل أعراق وأجناس مختلفة حاولت طمس معالم الشخصية الوطنية الجزائرية والقضاء عليها تماما ولكن تمسك الجزائريين بقوميتهم وأصالتهم حال دون ذلك، وتحمل إلياذة الجزائر أحداثا تاريخية كثيرة وأسماء لأبطال وطنيين عديدة مما استدعى مراجعة الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم من الجزائر وعثمان الكعاك من تونس.[23]

1.3.1.4. أبطال الجزائر في العصور القديمة:

عاد الشاعر مفدي زكريا إلى العصور القديمة ليستذكر ملوك وأبطال الجزائر الذين وقفوا في وجه الغزاة وقاوموهم ببسالة للحفاظ على وجود الجزائر ومن بين هؤلاء:

ا- الملك سيفاكس ملك نوميديا الغربية سنة206 ق.م الذي رفض التحالف مع روما وفيه يقول الشاعر

وخلوا سفاكس يحكي لروما مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا [24]

ب- ماسينيسا ملك نوميديا (238 ق.م – 148 ق.م): كان من أعظم الملوك حينذاك وكان تحالفه مع روما "تحالفا استراتيجيا[...] بدافع الاستقلال عن قرطاجنة والحيازة الكاملة على نوميديا بما فيها الشرقية والغربية،[25] وفيه قال الشاعر:

دعوا ماسينيسا يردد صدانا ذروه يخلد زكى دمانا

وكم ساوموه فثار إباء وأقسم أن لا يعيش جبانا[26]

ج- الملك يوغرطة: الذي استطاع أن يحقق انتصارات باهرة ضد الجيوش الرومانية وتمكن من توحيد سيرتا، "تبوّأ يوغورطا عرش سيرتا قسنطينة سنة 112ق.م وأعلن استقلال الجزائر التام"[27] ويتجلى ذلك في قول مفدي زكريا:

فجاء يغورطا على هديه بحكم الجماهير يفشي الأمانا

وقال: "مدينة روما تُباع لمن يشتريها " فهزّ الكيانا

ووحّد سيرتا بأعطاف كاف وأولى الأمازيغ عزًّا وشأنا[28]

د- الملك يوبا الثاني: الذي اتخذ من شرشال عاصمة للمملكة النوميدية وفيه قال مفدي زكريا

أشرشال ...هلا تذكرت يوبا ومن لقبوا عرشك القيصرية؟

ومن مصّروك فنافست روما؟ وشرّفت أقطارنا المغربية

لِمَ إذًا يُلقّب يوبا بثان؟ أما حقق السبق في المدينة؟[29]

هـ- الأديب والعالم أبوليوس : وهو أول من طرق باب فن الرواية بعمله الشهير "الحمار الذهبي" أو "تحوُّلات" وقد ورد اسمه أيضا في إلياذة الجزائر

وهذا أبولوس كان طبيبا يدين له العلم بالعبقريه

وأبدع في قصص الحيوان فأثّر في القصص الأمويه

وكان الأفارق في منتداهم بروما يخصونه بالتحية[30]

2.3.1.4. أبطال الجزائر في العصر الحديث:

لقد خصص مفدي زكريا مجالا معتبرا لأبطال الجزائر في الحديث ممن تصدوا للمحتل الفرنسي ورفعوا في وجهه السلاح حتى يسترجعوا ما نهبه من أراض وممتلكات ومنهم:

ا- الأمير عبد القادر:

قام الأمير عبد القادر بتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة كما "نظّم الجيش وأسس الديوان وأقام نظام الشورى"[31]، وفيه قال الشاعر:

أيا عبدَ قادر... كنت القديرا وكان النضال طويلا عسيرا

شرعت الجهاد فلبّاك شعب وناجاك ربٌّ فكان النصيرا[32]

ب- الحاج أحمد باي:

وهو باي قسنطينة الذي تمكن من جمع الجزائريين في منطقته حينذاك وأقنعهم بضرورة مواجهة المحتل الغاشم وقد نجح في قيادة ثورة شعبية في منطقة قسنطينة وفيه قال مفدي زكريا

غزا لاموريسيير أحمد باشا فقمنا بسيرتا نصون الحمى

وثرنا نقاوم بيتا فبيتا وشبرا فشبرا ونسبي الدمى[33]

ج- ثورة أولاد سيدي الشيخ: وفيهم قال الشاعر

بنو سيدي الشيخ قادوا النضالا فهزوا الثرى وأذابوا الجبالا [34]

د- الشيخ بوعمامة: وفيه قال

فردد رجع صداه أبو عمامة يدني حظوظ النجاح[35]

هـ- ثورة الشيخ آمود:

لم ينس مفدي زكريا الشيخ آمود بطل الجزائر في أقصى الجنوب الذي كان شيخا لقبائل التوارق وحمل السلاح ضد المحتل عندما وصل إلى منطقته وفيه قال

وهقار تزهو بآمودها يذود عن الشرف المستباح[36]

3.3.1.4. أبطال الثورة المجيدة:

لقد أشاد مفدي زكريا كثيرا بالمناضلين الأوائل الذين أسهموا في تحرير الجزائر وفيهم يقول

رعى الله عميش في الخالدين وكحَّال في السابقين الكرام

ورابح تعبق أنفاسه وغرَّافة الوطني الهمام

وعسلة يندبه طالب فيلحقه بعد مر السقام[37]

مع الملاحظة أن مفدي زكريا لم يكن يركز على الأفراد الذين كانوا يقودون المعارك بقدر ما كان يركز على الأحداث الكبرى ونتائجها المبهرة.

2.4. البناء الفني في إلياذة الجزائر:

1.2.4. الحقول الدلالية:

تعد اللغة هي أساس العمل الأدبي نظرا لما للكلمة من سحر وقوة في التأثير على المتلقي، وقد راعى مفدي زكريا كثيرا هذا العامل وهو شاعر الثورة المعروف ببراعته في توظيف اللغة والأسلوب الحماسي الذي ينهض النفوس من سباتها ويشحذ الهمم ويسقط كل خوف أو جبن.

لقد أكثر مفدي زكريا من الاقتباسات سواء من القرآن أو من التاريخ العربي والإسلامي ومن الشعر العربي القديم.

لقد قسم مفدي زكريا الحقول الدلالية في إلياذته إلى قسمين رئيسين، يعنى الأول منهما بجمال طبيعة الجزائر وتضاريسها ويعني الثاني بالأمجاد والبطولات التاريخية.

ومن بين الألفاظ والعبارات التي يوظفها في وصف جمال الجزائر:

بدعة فاطر، روعة الصانع، جنة، غار منها الجنان، الصفاء، الجمال، الضياء، عروس الدنا، نبع الجمال، الأشجار الفارعات، الربيع، الحسن، الدلال... وغيرها مما يصب في وصف محاسن ومفاتن الجزائر في كل ربوعها.

وللتعبير عن أمجاد الجزائر انتقى مفدي زكريا كلماته بكل إمعان وتدقيق ومنها نذكر:

مهد الأسود، ربع الكرام، تحدي الزمان، صمود الأمازيغ، مجد العرب، لعنة الاحتلال، عظماء الرجال...

كما يورد أيضا بعض الأسماء لأبطال وطنيين وعلماء أمثال:

ماسينيسا، يوغرطة، أبوليوس، القديس أوغوستينوس، بولوغين بن زيري، عقبة بن نافع، ابن تومرت وغيرهم.

لقد كان مفدي زكريا يدقق في اختيار ما يتناسب مع الحقل الدلالي الذي يقدمه سواء من ألفاظ أو أسماء أعلام أو أحداث تاريخية معينة.

2.2.4. الاقتباس من القرآن:

لقد كانت ثقافة مفدي زكريا ثقافة عربية أصيلة لقد كان يتقن قواعد اللغة العربية وأسسها السليمة التي أخذها من القرآن الكريم الذي حفظه منذ نعومة أظفاره إضافة إلى الشعر العربي القديم لهذا كثيرا ما تصادفنا عبارات وألفاظ مقتبسة من بعض الآيات القرآنية ونذكر على سبيل المثال:

وأوقفت ركب الزمان طويلا أسائله: عن ثمود...وعاد...

وعن قصة المجد... من عهد نوح وهل إرم...هي ذات العماد؟[38]

وقد اقتبسها من الآيات التالية:

"ألم تر كيف فعل ربك بعاد(6) إرم ذات العماد (7) التي لم يخلق مثلها في البلاد(8) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد(9)."[39]

3.2.4. البنية الإيقاعية في إلياذة الجزائر:

كان الشاعر من بداية إلياذته إلى نهايتها وهو يتغنى بوطنه ويفتخر بأمجاده وبطولاته فكانت كلها حماسة وقوة مما جعله يختار إيقاعات قوية تهز المتلقي من أعماق كيانه وتبعث فيه القوة والشعور بالاعتزاز بهويته ووطنه ومن الوسائل الفنية التي وظفها:

1.3.2.4. الدواخل:

وتتمثل هنا في حروف الجر وتتجلى في العبارات التالية: (في الكائنات)، (فيها الجمال)، (في سجل الخلود)، (على قدميها الزمان)، (على قدميها الطغاة) ...وغيرها.

وتعد هذه " الحروف الثلاثة [على، في، ب] دلالة تضمن اليقين في الشك."[40]

زيادة على ذلك كان مفدي زكريا يوظف حروف النداء فهي نوع من الصرخة الموجهة للمتلقي حتى ينتفض ويزيح كل كسل ويخرج من لا مبالاته ومنها نذكر:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات

ويا بسمة الرب في أرضه ويا وجهه الضاحك القسمات[41]

2.3.2.4. تكرار الصوامت:

كثيرا ما تصادفنا الصوامت الشديدة في إلياذة الجزائر وتتمثل في حروف: ك، ق، ج، ط، د، ب...وهي تقوم بحبس الصوت ويتجلى ذلك في البيت التالي

بها ذاب قلبي كذوب الرصاص فأوقد قلبي وشعبي[42]

وعادة ما يرتبط التكرار بإحداث إيقاع معين ويتجلى ذلك في البيت الموالي

جزائر يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر[43]

إن تكرار حرف الراء أربع مرات (جزائر، الفاطر، روعة، القادر) في هذا البيت تدل على عظمة الله في خلقه للجزائر بمثل هذا الجمال الأخاذ.

5. خاتمة:

وهكذا توصل مفدي زكريا سواء من خلال لغته الرصينة وأسلوبه الجزل وإيقاعاته القوية وقاموسه اللغوي المعبر عن مختلف الحقول الدلالية الواردة في هذه القصيدة المطولة إلى التعريف بكل دقة وعمق بجمال الجزائر الساحر وبسواحلها وغاباتها وصحاريها لقد جعل المتلقي يشتاق فعلا إلى زيارة ورؤية هذه الآية الربانية ولمسها والمشي على ترابها المبارك زيادة على سرده لمختلف الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر منذ العصور القديمة إلى الآن، لقد ركز على البطولات والأبطال حتى يثير إعجاب القارئ بهذا الشعب الذي استطاع أن يحافظ على هويته وعلى ترابه الذي استرجعه بفضل استشهاد المليون ونصف المليون من الشهداء مما جعل ثورة نوفمبر1954 من أعظم الثورات في العصر الحديث، وبهذا يكون مفدي زكريا قد أصاب في تقديم وطنه في أحسن حلة وتشويق المتلقي لزيارتها وبهذا يكون قد سخر نصه سواء على مستوى المضامين أو اللغة أو الإيقاع وغيرها من التقنيات التي أجاد استعمالها من أجل الترويج للسياحة في وطنه ومن هنا يمكننا اعتبار إلياذة الجزائر من النصوص الأدبية السياحية بامتياز.

*** *** ***

6. الهوامش:

[1]- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقابلات لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004، ص25.

[2]- الحسامي عبد الحميد والمدحجي يحي، الأبعاد الثقافية لواجهة محل الملابس بمدينة أبها- مقاربة سيميائية- مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، المجلد السادس، العدد التاسع، 2016 ، ص 141 .

[3]- بن طيب أسماء، فاعلية اللغة في إنجاح الإشهار السياحي، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت، الجزائر، العدد 07، جوان 2020، ص204.

[4]- المرجع السابق، ص 205، عن هوام لويزة، الصحراء الجزائرية وجهة سياحية بامتياز" الإشهار السياحي أنموذجا"، ص8.

[5]- كولماس فلوريان، اللغة والاقتصاد، ترجمة: أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص 9.

[6]- خلفاوي نزهة، الخطاب الاشهاري السياحي ورهان تسويق اللغة العربية، مجلة الخطاب والتواصل، جامعة بلحاج بوشعيب غين تموشنت، الجزائر، العدد السابع، جوان، 2020، ص 109.

[7]- بردادي عبد الرحمان، غول شهرزاد، اللغة السياحية في الخطاب المسرحي العربي، مجلة النص، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، المجلد 08، العدد 03، 2021، ص 371.

[8]- خلفاوي نزيهة، المرجع السابق، ص 114.

[9]- بدران جمال، الأدب السياحي، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، ص 12، 13.

[10]- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، ط2، الجزائر، 1987، ص 19.

[11]- دردور سمير نور الدين، ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، مؤسسة هنداوي، مدينة نصر، القاهرة، جانفي 2017، ص 35.

[12]- ينظر مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 19.

[13]- ينظر المصدر نفسه، ص 31.

[14]- ينظر نفسه، ص 29، 30.

[15]- ينظر نفسه، ص 26 – 29.

[16]- ينظر نفسه، ص 33.

[17]- ينظر نفسه، ص 34 – 36.

[18]- ينظر المصدر نفسه، ص 23.

[19]- دردور سمير نورالدين، ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، ص 29، 30.

[20]- ينظر راجعي زكية، مدينة الجزائر(القصبة) و أثر الموقع في تأسيسها، حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب، القاهرة مصر، المجلد 18، العدد 16، ص 437.

[21]- المرجع السابق، ص 439.

[22]- ينظر دردور سمير نورالدين، ملحمة الجزائر، ص 34.

[23]- ينظر بوصوري الناصر، قراءة في إلياذة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا، مجلة نتائج الفكر، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة، الجزائر، العدد 05، 06، سنة 2020، ص 134.

[24]- زكريا مفدي، الإلياذة، ص 39.

[25]- دردور سمير نورالدين، ملحمة الإلياذة، ص 37.

[26]- زكريا مفدي، الإلياذة، ص 39.

[27]- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ص 92.

[28]- زكريا مفدي، نفسه، ص39.

[29]- المصدر نفسه، ص 41.

[30]- المصدر نفسه، ص41.

[31]- دردور سمير نورالدين، ملحمة الإلياذة، ص 94.

[32]- المصدر نفسه، ص55.

[33]- المصدر نفسه، ص54.

[34]- نفسه، ص58.

[35]- نفسه، ص59.

[36]- نفسه، ص 59.

[37]- نفسه، ص 68.

[38]- زكريا مفدي، إلياذة الجزائر، ص 37.

[39]- سورة الفجر الآيات: 6، 7، 8، 9.

[40]- شارف عبد القادر، الظواهر الإيقاعية في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، لمجلد 1، العدد 4، 2015، ص9.

[41]- زكريا مفدي، إلياذة الجزائر، ص 19.

[42]- المصدر نفسه، ص 25.

[43]- المصدر نفسه، ص19.